

اليهودية . ومن ثم بدء تكون طبقة بروليتارية يهودية التي اضطرت للانخراط في الانتاج الاستهلاكي الصغير لانفتقارها الى تقاليد وأسس حرفية في القطاع الانتاجي . فكانت عرضة لهزات متتالية نتيجة التطورات العلمية والتكنولوجية مما أدى الى تفشي البطالة بين صفوفها ، الأمر الذي أتاح للصهيونية استغلال هذه الظاهرة لخدمة أغراضها ومصالحها ، فكانت سيول المهاجرين في أوروبا الشرقية تساهم في تأجيج العداء ضد اليهود الجدد الذين اعتبروا مصدر منافسة خطيرة للبرجوازية الفرنسية والالمانية الصغيرة ، مثلا .

أما في الفصل الرابع فتطرح علاقة الحركة الصهيونية بالاستعمار وفي هذا الفصل تركز بديعة امين على النقاط التالية :

١ ) كان اليهود ينتمون في القرن التاسع عشر في أوروبا الغربية الى الطبقة البرجوازية الصغيرة بصورة رئيسية ، وهي طبقة غير منتجة .

٢ ) أن الأغلبية العظمى من يهود أوروبا الشرقيين كانوا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية من المعارضين للصهيونية ، كما يذكر دويتشر .

٣ ) أن فكرة توطين اليهود في فلسطين انبثقت من اتقية وزارة الخارجية البريطانية في لندن وذلك منذ نشوء ما يعرف بالمسألة الشرقية مع بروز مشكلة ملء الفراغ الناتج عن تدهور الامبراطورية العثمانية ، خاصة بعد حرب القرم ١٨٥٤ - ١٩٥٦ ، وبرز أهمية الهند ومصر بالنسبة الى بريطانيا ، واشتداد النزاع في الشرق الاوسط بين بريطانيا وفرنسا بوصفه مصدر ثروات اسطورية ووقعه على الطريق الى الهند . حتى ان فكرة توطين يهود أوروبا في فلسطين تعود الى بروز قوة محمد علي ووقوف فرنسا الى جانبه ، مما اوقع الهلع في بريطانيا من تعرض خطوط المواصلات الى الهند للخطر الفرنسي . فكانت فكرة جعل فلسطين « قطعة دفاع امامية » او « مخفرا اماميا للامبراطورية البريطانية » .

ولم تقتصر مسألة ادراك أهمية فلسطين على بريطانيا وحدها ، بل عملت لهذه الفكرة وحرضت يهود أوروبا لتنفيذها دول استعمارية اخرى بدءا بالمانيا البسماركية وفرنسا نابليون الثالث وانتهاء بروسيا القيصرية .

في أوروبا الغربية - الحركة الاندماجية ، ومشكلة البرجوازية اليهودية الصغيرة اiban العتدين الاخرين من القرن التاسع عشر . ويمكن تلخيص هذا الفصل فيما يلي :

١ ) كانت أوروبا ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر تمر في مرحلتين متباينتين اجتماعيا واقتصاديا : أوروبا غربية تقف على عتبة حضارة تجارية وفيها بعد صناعية ، وأوروبا شرقية ما تزال رازحة تحت أنظمة اقطاعية لا يبدأ انهيارها الا في القرن التاسع عشر .

٢ ) عادت أوروبا الغربية فاستقبلت اليهود مجددا في أعقاب توطيد قوة الطبقة البرجوازية المسيحية وازدياد حاجتها لطاقت مالية ومادية لتنفيذ مشاريعها التوسعية ومد سيطرتها الى بلدان آسيا وافريقيا ومد منافسة بعضها البعض . وهكذا ابتدأ اسهام اليهود في هذه العملية منذ ذلك الحين . فاندمج اليهود اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وروحيا في البرجوازية المسيحية الأوروبية .

٣ ) لم تبرز الحركة الصهيونية عندما كان اليهود يتعرضون للاضطهاد فيما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر ، وانما ظهرت في اواخر القرن التاسع عشر مع بلوغ النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية أعلى قمة في تطوره - مرحلة الامبريالية .

٤ ) من هنا فالحركة الصهيونية لم تكن حركة قومية تعبر عن مصالح البرجوازية اليهودية الكبيرة وتطلعاتها في ايجاد سوق وطنية حرة من كل منافسة أجنبية وتجميع شحات اليهود وتسخير طبقتهم العاملة على الاخص لخدمتها . وبذلك تكون البرجوازية اليهودية قد حلت مشكلتها عبر اندماج رأس المال اليهودي برأس المال المسيحي . وكانت الطبقة العاملة اليهودية في مرحلة جنينية لا تلعب دورا انتاجيا فعلا ، الى جانب تأييد البرجوازية اليهودية لحركة الاندماج ووقوفها ضد الحركة الصهيونية .

٥ ) ازدياد الهجرة في أوروبا الشرقية منذ اوائل سبعينات القرن التاسع عشر واشتدادها في أعقاب أحداث ١٨٨١ في روسيا وبولونيا . وترافقت هذه الهجرة مع تصاعد رجعي في أوروبا الغربية ، وبرزت مشكلة استيعاب المهاجرين اليهود الجدد من أوروبا الشرقية وخاصة البرجوازية الصغيرة